ـ ١ ـ
شهادات عن الحرب

اعداد: سلوى العمد

ذات فجر، أفاقت بيروت على أصوات القذائف المنهالة عليها من البر والبحر والجو. خرج سكان الطوابق العليا للبنايات من منازلهم الى الملاجىء بحثاً عن أماكن آمنة. وهم في قرارة أنفسهم يعلمون، وبالتجربة الحية، أن أقبية الأبنية أو طوابقها الأرضية المعتبرة ملاجىء، لا توفر لهم من الأمان الا الاحساس باحتماله. فلقد حوّلت طائرات الغزو الاسرائيلي عشرات البنايات، أمام أعين الأطفال الى ركام؛ فدب الرعب في نفوس الصغار والكبار، وفي قلوب ساكني الطوابق العليا والسفلى على حد سواء. لكن يبدو أن المثل القائل «الموت مع الناس رحمة» صحيح؛ فقد لجأ الكثيرون الى التجمع مع بعضهم البعض، ينصتون الى نبضات القلوب الجماعية، التي كانت تشعرهم بشيء من الحياة والأمان وتمدهم بشحنات من القوة يواصلون بزخم منها يومهم المشحون بالجراح وشتى الانفعالات.

مضت الساعات الأولى من الفجر المدّوي، وأطلّ الصباح حاملاً معه اعتذار الصيف عن نقص قسري في المياه ونفاد الطحين من المخازن الصغيرة التي كان لها، وحدها، شرف مشاركة الناس العاديين آلامهم والحصار. لكن العيون التي حرمت لذة النوم لعشرات الليالي لم تستسلم للواقع المفروض عليها؛ فخرجت من رطوبة الملاجىء لملاقاة الحياة في طلعة الشمس، أو ربما في اشراقة الرغيف، الذي خلت منه الأفران: المنزل الذي تهدم؛ الملجأ؛ الشارع؛ الفرن؛ صهريج المياه المتنقل؛ الرغيف الذي اتخذ استدارة البدر؛ المقاتل الذي ارتدى سترة التفاؤل والعزيمة؛ الأم التي أرضعت طفلها حليب الصبر والصلابة؛ الأب الذي يبحث في أشلاء جثة ابنه عن وجنته ليطبع عليها القبلة الأخيرة.. هذه هي الصورة اليومية لبيروت تحت «رحمة» آلة الحرب الصهيونية وفي ظل حصارها المحكم.